ويليام هارتنغ

يعتبر وليام هارتنغ خبيراً على المستوى الدولي في حقل تجارة السلاح، واقتصاد الإنفاق العسكري، والسياسة الخارجية الأمريكية. وهو مدير مشروع السيطرة على تجارة السلاح الدولية التابع للمعهد العالمي للسياسة. وله عدة مؤلفات، وشارك في تأليف عدد كبير من الدراسات، من ضمنها كتاب بعنوان أسلحة للجميع (هاربر كولينز، 1994)، وكتاب الديناميكية المتغيرة في سياسة وموازنة الدفاع الأمريكية في حقبة ما بعد الحرب الباردة (غرينوود برس، 1999)، وكتاب كم جنيت من الأرباح في الحرب يا أبي؟ دليل سريع وقذر لأرباح الحرب في حكومة بوش (نيشن بوكس، 2004).

جيرمي إرب: تقوم حكومة بوش بشن حملة إعلامية كاسحة لإظهار جورج دبليو بوش بمظهر القائد القوي في الأوقات العصيبة. ما هي النصيحة التي تقدمها للمواطنين الأمريكان في فهم الخطاب الدعائي والصور المرافقة له والذي يوشك أن يغمرهم؟

لو كان أمامي نافذة أخاطب من خلالها المواطن الأمريكي العادي، أو لو أتيح لي مخاطبة الجمهور لخمس دقائق في المساء، لأرشدتهم إلى كيفية فك رموز حملات التضليل الإعلامي حول ما سنشاهده من بوش فيما يتعلق بالأمن. سأقول لهم: أولاً، لا تنظروا فقط إلى الصور - تلك التي يظهر فيها بوش وهو يهبط على حاملة للطائرات، أو وهو محاط بالجنود، أو وهو واقف في مصنع للسلاح. إن خبراء فريقه في العلاقات العامة يريدون أن يظهروه بمظهر الشخص الشديد، يريدون أن يظهروه بمظهر القوي- وحتى في احتفالات يوم

الأرض، اختاروا له صورة وهو يحمل في يده فأساً يمهد بها الطريق في أديروندكس. إن هذه الحكومة تعاني من ارتفاع نسبة هرمون التستوسترون، لدرجة أن الاحتفال بيوم الأرض اقتضى أن يظهر فيه هذا الرجل وبيده سلاح. وهذه التكتيكات تحدث أثرها المطلوب في عامة الشعب، كيف لا وفيلم هاي نوون يشهد إقبالا كبيراً في دور السينما. وفي استطلاع أجري مؤخراً حول الأفلام التي يشاهدها الرؤساء، كان هاي نوون في المقدمة. وبالطبع، فإنهم لم يدركوا أن الفيلم كان يطرح في جزء منه قضية الوقوف في وجه المكارثية، بل كل ما فهموه هو الجزء المتعلق باستخدام البندقية.

وكل ما يتمنوه هو أن الناس سيشاهدون تلك المشاهد ويشعرون أن بوش ومنذ 11 سبتمبر جعل جل تركيزه واهتمامه حماية الولايات المتحدة والدفاع عنها. فقد أطاح بحكومتين، وأنفق كل هذه الأموال، ولكنه لم يقم بالإجراءات المعقولة لحمايتنا من الإرهاب. وهذا هو الوقت الذي ينبغي للناس أن يغلقوا فيه التلفاز، ويبدأوا بتلقي الأخبار من مصادر مستقلة. ولو أمضى الناس 15 دقيقة في اليوم للاطلاع على ما يجري حولهم بدلاً من تلقي كل ما يقدم لهم بالقبول- فإنني أعتقد أن الحقائق ستظهر بكل وضوح. وأولها أننا ذهبنا إلى العراق استناداً إلى الحجة القائلة بأن صدام حسين كان على وشك الحصول على أسلحة نووية. ونحن نعلم الآن أن ذلك المبرر كان زائفاً. لقد ذهبت حكومة بوش إلى العراق على أساس من أن صدام حسين يرتبط بعلاقات قوية بالقاعدة. وقد تبين الآن أن ذلك لم يكن صحيحاً، واتضح أن الحكومة قامت بتلفيق وتزوير وتهويل الأدلة لتضليل الشعب الأمريكي. وقد صدرت أقبح المواقف المخزية عن الشخص الأكثر حصافة في الحكومة - كولن باول، عندما وقف في الأمم المتحدة وبيده قارورة تحتوي على مادة مزيفة عرضها على أنها عينة من جرثومة الجمرة الخبيثة أثناء تقديمه الحجج ضد صدام حسين. لم يقل وقتها إن صدام حسين

كان وراء هجمات الجمرة الخبيثة، ولكن كان ذلك ما عكسته الصورة التي ظهرت على غلاف مجلة نيوزويك. وما سجل في وعي الناس هو "العراق... الجمرة الخبيثة... صدام حسين... كلها في قالب واحد".

والحقيقة هي أن قرابة الخمسين بالمائة من الأمريكان يعتقدون أن صدام حسين كان وراء هجمات 11 سبتمبر، وهذا هو ما يفهم من تصرفات حكومة بوش، يدعمها في ذلك تأييد وتحالف اليمين والأجهزة الإعلامية والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية المختلفة. إن ما رأته حكومة بوش بعد 11 سبتمبر هو فرصة لتحقيق هدف كانوا يسعون إلى تحقيقه منذ وقت طويل، وهو انتهاز فرصة انتهاء الحرب الباردة لا لخفض القوات الأمريكية، بل لقول "اشكروا الرب! نحن الآن القوة العظمى الوحيدة! لو حشدنا قواتنا، فإننا نملك التحكم بالآخرين، بإمكاننا إعادة تشكيل العالم بما يخدم مصالح الولايات المتحدة بشكل أفضل". وهذا الموقف يتطلب أن يكون لك أصدقاء مقربين في مناطق إنتاج النفط، وتحررك من الالتزام بأي معاهدة تمنعك من استخدام قوتك كما تهوى – هذه هي ترنيمة المحافظين الجدد الذين يحيطون بالرئيس بوش.

جيرمي إيرب: هل لك أن تحدثنا بالمزيد عن تأثير المحافظين الجدد على هذه الحكومة منذ 11 سبتمبر؟ فأنا أتساءل عما إذا كنت تلاحظ التحول الذي طرأ على السياسة الخارجية الأمريكية، وبخاصة قرار شن الحرب على العراق، كقرار مدفوع بالنظرة الأيديولوجية والمنظور الأخلاقي للمحافظين الجدد، أم بالاعتبارات الواقعية للسياسة الخارجية، أم بمصالح الشركات الأمريكية؟ أم أنه خليط من كل هذه العوامل الثلاثة؟

هناك شيء مختلف يتعلق بهذه المجموعة التي تحيط بالرئيس بوش. إنهم طراز خاص من الجمهوريين. فهم ضد المؤسسات الدولية، ولا يثقون بحلفائنا،

ويفضلون استخدام القوة على الدبلوماسية، وبالطبع، فهم لا يعارضون الاستفادة وتحقيق الربح من وراء ذلك كله. ولكن حتى بالنسبة لشخص مثل ريتشارد بيرل، الذي حقق مكاسب جمّة كسمسار لتجمع صناعات السلاح، فإنك تجده أكثر تحفزاً بالأيديولوجية منه بالمال.

وتعود نظرتهم إلى العالم إلى مدرسة أفكار هنري جاكسون. وكان السناتور هنري جاكسون من الديمقراطيين المحافظين في السبعينيات، وهي مدرسة تجمع بين مولاة إسرائيل ومعاداة الاتحاد السوفييتي. وكان يشكل العمود الفقري في التمهيد للثورة الريغانية. وكثير من الأشخاص الذين عملوا لدى هنري جاكسون – مثل ريتشارد بيرل، وفرانك غافني، وهذا الأخير يدير مركز سياسات الأمن (وهؤلاء هم من أشد المتحمسين لحرب النجوم ونظام دفاع صاروخي متعدد الطبقات) – تحولوا من ديمقراطيين معتدلين إلى ديمقراطيين محافظين ثم إلى ريغانيين، وهذا كله يعود إلى قناعتهم بعدم إمكانية التعامل مع الاتحاد السوفييتي. وكانوا يعتقدون بأن سياسة الاحتواء لن تفلح في التعامل مع المعسكر الشرقي؛ يجب أن يكون لديك القدرة للقضاء عليهم عسكرياً. وفي عام 1980، شارك كيث بين في كتابة مقالة بعنوان "النصر ممكن" حول كيفية تحقيق النصر في الحرب النووية. وذكر فيها أن الحرب ضد السوفييت، ربما تحصد 20 مليوناً من البشر، إلا أنه بإمكاننا الانتصار. وكانت حجته تقول:"إذا كنت ستلعب اللعبة النووية، فيجب أن يكون الفوز نصب عينيك".

وهذه النظرة كانت مرفوضة حتى من قبل ريغان نفسه في فترة رئاسته الثانية، بدليل الصفقات التي أبرمها مع غورباتشوف. وصرح بكلمة قال فيها بأنه يستحيل تحقيق أي نصر في الحرب النووية، وينبغي ألا نفكر بها. وكان ذلك يعكس جزءاً من اعتقاده واستجابته للحركات الداعية إلى السلام والتي كانت تنتقد سياساته. إلا أن المحافظين الجدد لم يطرأ أي تغيير على قناعاتهم

وسلوكهم. ريغان تغير مع مرور الوقت، وعدّل من مواقفه، وأبرم اتفاقيات مع غورباتشوف، وكان يسعى إلى التخلص من الأسلحة النووية، وقام بتأجيل مشروع حرب النجوم. أما الأشخاص من أمثال فرانك غافني والذي كان يعمل في البنتاغون في عهد ريغان، فقد بلغ بهم الامتعاض درجة دفعتهم إلى الاستقالة من وظائفهم. وانتقلوا إلى مراكز الأبحاث التابعة للمحافظين والتي تتلقى الدعم المالي من ريتشارد ميلن سكيف، وأسرة كوورز، وفي حالة المركز الذي يعمل فيه غافني، فكان يتلقى الدعم المالي أيضاً من الشركات المصنعة للأسلحة كشركة لوكهيد مارتن وغيرها.

وقام المحافظون الجدد بشحذ نظرياتهم التي تتمحور حول "السلام من خلال القوة"، والمواقف الأحادية منذ نهاية الثمانينيات إلى عهد كلينتون، وتوّجت تلك الجهود بمركز مشروع القرن الأمريكي الجديد، والذي تأسس في عهد الولاية الثانية للرئيس كلينتون. أرادوا العودة إلى عهد الفترة الرئاسية الأولى لرونالد ريغان. وهذا هو رونالد ريغان الذي كان يمازح الصحفيين قبل إلقائه خطابه الأسبوعي قائلاً "سيبدأ القصف خلال خمس دقائق"؛ رونالد ريغان الذي كان يطلق على الاتحاد السوفييتي وصف "إمبراطورية الشر" ولا يمكن التفاوض معه. إنهم لا يزالون متحجرين في تلك الحقبة الزمنية. لم يطرأ عليهم التحول الذي طرأ على ريغان، لذلك فقد أمضوا الثمانيات والتسعينيات في تعزيز وتلميع المواقف الأحادية. ثم وفي عهد حكم بوش الأب، قام ولوفوويتس و لويس ليبي، الذي كان يعمل نائباً لتشيني]في وزارة الدفاع [بالإضافة إلى آخرين، بوضع إستراتيجية الأمن القومي تأسيساً على فكرة أن الولايات المتحدة يجب أن تكتفي بالهيمنة على خصومها، بل يجب أن يكون لديها قوة عسكرية كاسحة بحيث يخشاها أصدقاؤها. وقد أدت هذه الوثيقة إلى إحداث ضجة بعد أن تسربت إلى وسائل الإعلام، وأعرب الأوروبيون عن انزعاجهم مما ورد فيها، وانتقدها كل من

كولن باول وبوش الأب وحتى تشيني، إلى حد ما، واصفين إياها بالغلو. عليكم تخفيف تلك اللهجة، إن انتهاء الحرب الباردة لا يعني الضوء الأخضر لبناء قوتنا العسكرية على نحو جامح، والتعدي على الدول الأخرى، مستخدمين السيف عوضاً عن الدبلوماسية. إلا أن هؤلاء الأشخاص لم يتزحزحوا عن تلك المواقف.

لقد قاموا بصقل تلك الأفكار في مراكز أبحاث المحافظين، ولما ظهر جورج بوش وافق شن طبقة، لأنه كان هو الآخر يتوافق مع سياسات ريغان في فترة رئاسته الأولى أكثر من توافقه مع سياسات أبيه. وفي أثناء حملته الانتخابية، وحين يقدم له مستشاروه مقترحات بشأن بعض القضايا، كان يوجههم نحو التشدد أكثر. فلم يكن يعبأ باتفاقية نزع الصواريخ البالستية؛ كان يفضل الدفاع الصاروخي. سألهم لماذا نريد جيشاً، وهو سؤال قد يوحي بأنه يفصح عن نزعة إصلاحية مشوّقة. ولكن إذا نظرنا إلى هذه التصريحات في ضوء النزاع الذي تبدى بين رمسفيلد والجيش، فإنه يتضح لنا أنهم لا يحبون الجيش لأن الجيش جاثم على الأرض من الناحية الواقعية لا يعمل شيئاً. عليهم أن يحتلوا دولاً؛ ويتحتم عليهم مواجهة الناس وجهاً لوجه. أما رمسفيلد والآخرون فيريدون عمل الأشياء من بعيد؛ يريدون أن يضعوا أسلحة في الفضاء؛ يريدون إلقاء القنابل عن بعد 15 ألف قدم من الجو. إنهم لا يرغبون بالتعامل مع السياسات المعقدة لهذه الدول، ولهذا السبب يحاولون إدارة العراق وكأنه الولاية الحادية والخمسين المخصخصة، وهذا لن ينجح.

جيرمي إيرب: يرى بعض المحللين أنه لا شيء "جديد" فيما يفعله المحافظون الجدد، ويقولون بأن ما نشاهده اليوم هو مثال متشدد من "رأسمالية الشللية". كيف ترد على ذلك؟

إنهم يمنحون كل هذه العقود لرفاقهم المقربين، مثل هاليبرتون، وبيتشل وغيرها من الشركات، إلا أن هذه الشركات لا توفي بالتزاماتها. وظهرت مؤخراً

مقالات في الصحافة تقول بأن الجنود لا يملكون الماء الكافي للشرب. فهم يحصلون على كمية محدودة بمقدار لتر ونصف في اليوم لأن هاليبرتون لا تستطيع تنفيذ المهمة. ولكنها حصلت على عقد مع الجيش بدون مناقصة ويجدد سنوياً. والذي أوجد هذه الفرصة هو دك تشيني (الذي كان الرئيس التنفيذي لهاليبرتون) قبل أن يصبح وزيراً للدفاع في عهد بوش الأب. وهو صاحب فكرة خصخصة خدمات الدعم والمساندة للجيش خارج الولايات المتحدة. وهو صاحب فكرة قيام شركات خاصة بتقديم خدمات التخطيط في وزارة الدفاع. وخدمات صيانة عربات الجيش، وتقديم الطعام والشراب، وبناء القواعد، الخ. فهو الذي وضع نموذج خصخصة الخدمات، ثم وبعد بضع سنوات، التحق بالعمل في هاليبرتون وهي الشركة التي استفادت من هذه العقود. خسرت هاليبرتون تلك العقود عندما كان تشني رئيساً تنفيذياً لها، ولكنها عادت وحظيت بها ثانية عندما أصبح تشيني نائباً للرئيس الأمريكي. وأحد الأسباب التي حصلت فيها تلك الشركة على العقود هو أن المسئولين في البنتاغون رأوا أن ذلك ربما يرضي نائب الرئيس وغير ذلك من أشكال المحاباة. وحتى لو لم يتدخل تشيني مباشرة، فيكفي حقيقة أنها الشركة التي كان نائب الرئيس يرأسها، وأنه ما زال يتلقى مكافآت مالية ضخمة من تلك الشركة. فهذه الأمور لها تأثير في ذلك. وقد أورد تشيني في نموذج كشف الذمة المالية أنه يتلقى ما يتراوح بين 180 ألف دولار إلى المليون دولار في السنة من هاليبرتون كجزء من مكافأة نهاية الخدمة (المظلة الذهبية) التي حصل عليها بعد تركه العمل في تلك الشركة. أما زوجته (لِن) وهي الأخرى من المحافظين الجدد، فقد كانت عضواً في مجلس إدارة شركة لوكهيد مارتن طيلة سبع سنوات، وما زالت تتلقى مكافآت مؤجلة من تلك الشركة صاحبة أكبر نصيب من التعاقدات مع الجيش. وعليه فإن أسرة تشيني من الناحية الفعلية ما تزال مدرجة في جدول رواتب تجمع صناعات السلاح.

وبالمثل، فإن والد جورج دبليو بوش يتلقى 100 ألف دولار على كل خطاب يلقيه لصالح مجموعة كارلايل، وهي شركة تستثمر في الشركات العسكرية ويديرها فرانك كارلوتشي، زميل الدراسة السابق لرمسفيلد في جامعة برنستون.

إن هذه الجماعة هي في واقع الأمر لصوص متخمون. وبرأيي أن ذلك ليس بسبب الجشع- فهم يشعرون بأن ذلك هو من استحقاقاتهم. إنهم يعتقدون بأنهم النخبة المصطفاة والمختارة لإدارة شؤون العالم. وبما أنهم يؤمنون بحرية السوق والمشاريع الفردية وغير ذلك، فإنهم يشعرون بأن كل هذه الأموال التي تنهال عليهم ما هي إلا بعض الآثار النتائج الثانوية لكونهم الأفضل والأفضل كل يوم ومن كل الجوانب، لأنهم يناضلون في سبيل البشرية. وهم يعانون من نقطة عمياء كبيرة، ولا يدركون أن ما يفعلونه يبدو فساداً في عين كل شخص في العالم. وكان أول عقد لإعادة أعمار العراق عقداً بدون منافسة، عقداً سرياً نالته الشركة التي يديرها نائب الرئيس، في الوقت الذي لم يحصل فيه أحد على فرصة لدخول المناقصة، لا من حلفائنا البريطانيين الذين ساعدونا في الاستيلاء على بعض المناطق، ولا حتى الشركات الأمريكية الأخرى التي يمكنها تقديم خدمات أفضل.

ولو عاينت التاريخ المهني لريتشارد بيرل و ووزلي وبقية العصابة المحيطة برمسفيلد لوجدت أنهم من أتباع أيديولوجية واحدة أولاً. وحتى لو نظرت إلى تاريخهم المهني، فستجد أن معظم علاقاتهم المهنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرأسمالية الشللية. فلم تقم هاليبرتون بتوظيف دك تشني لأنه كان مديراً ممتازاً. وجاء تعينه في تلك الوظيفة بعد أن رافق رئيس الشركة في رحلة صيد للأسماك، وتبين لهم أن له صلات ومعارف في الشرق الأوسط، ولأنه ساعد في تحقيق النصر في معركة الخليج، وبإمكانه فتح كثير من الأبواب أمام تلك

الشركة. ولم يكن من بين تلك الاعتبارات قدراته الإدارية الفذة. والحقيقة هي أنه أوشك أن يوقع تلك الشركة في هاوية الإفلاس عندما قام بشراء شركة درسرز إندستريز التي كانت مثقلة بديون والتزامات تتعلق بقضايا تعويضات الإسبست. ولولا مساعيه خلف الكواليس لتأمين عقود حكومية للشركة لأفلست الشركة تحت إدارته.

وحتى رمسفيلد الذي يشيع عنه أنه كان مدير أعمال رائع، حصل على أول وظيفة له من شخص اسمه تد فورستمان. وكان فورستمان هذا متخصصاً بضم ودمج الشركات، وساعد في تمويل مؤسسة إمباور أمريكا (تمكين أمريكا) إحدى معاهد الفكر التابعة للمحافظين الجدد. ورمسفيلد هو أحد أعضاء مجلس إدارتها. وقامت هذه المؤسسة بنشر وتمويل إعلانات مناهضة للمرشحين الديمقراطيين لمجلس الشيوخ في التسعينيات، وكانت هذه الإعلانات تطعن بوطنية هؤلاء المرشحين لعدم دعمهم المطلق لمشروع الجمهوريين لحرب النجوم. وبعد أن امتلك فورستمان شركة تسمى جنرال إنسترمنت، قام بتعيين رمسفيلد مديراً تنفيذياً لها. لم يرتق رمسفيلد إلى هذه المرتبة من خلال درجات السلم الإداري للشركة. بل كان ذلك بفضل أحد أصدقائه المقربين، وشريكه في بعض الأعمال السياسية. إنهم يديرون واشنطن كما كان سوهارتو يدير إندونيسيا. إنها رأسمالية شللية في أسوأ صورها. وبإمكانك أن تقوم بذلك بعض الوقت، ولكنك في النهاية ستبدأ بتقويض الاقتصاد الوطني. وستنهار ثقة الناس بالديمقراطية.

هذا هو المستوى الذي وصلنا إليه الآن، بحيث لم يعد بوسعنا القبول بالصورة التي يحاولون تصوير أنفسهم بها. علينا أن ندقق النظر فيما يفعلونه. وعندما حذّر أيزنهاور من تأثير تجمع صناعة السلاح، فعن مثل هذه الأمور كان يتكلم، ولكنه قال بأن علينا أن نراقب التأثير المباشر وغير المباشر لتجمع صناعة

السلاح، فبحكم ما تتمتع به هذه الشركات من ضخامة الحجم، فإن بإمكانها أن تستحوذ على المكان، وتستجمع القوة، وغير ذلك. إلا أننا اليوم أمام وضع مختلف. إن هذه الزمرة تقوم بالاستغلال المتعمد لتجمع الصناعات العسكرية كأداة لبسط نفوذهم وسلطتهم، ولا أعتقد أن أيزنهاور نفسه كان يتخيل أن شخصاً ما سيملك في يوم من الأيام هذا القدر من الجرأة والصفاقة. إلا أننا نرى بوش يقوم بجولات استطلاعية داخل تجمع مصانع الأسلحة، ويهبط بطائرته على متن إحدى حاملات الطائرات، ثم يلقي خطاباً في اليوم التالي في شركة يونايتد ديفنس تحت منصة كبيرة تحمل اسم "يونايتد ديفنس". وهذه الشركة تملكها مجموعة كارلايل. وهي الشركة التي يعمل فيها أبوه براتب مقطوع مع جيمس بيكر الذي تولى الإشراف على عملية فرز الأصوات في ولاية فلوريدا.

جيرمي إيرب: أين تقع أحداث 11 سبتمبر في هذا كله؟

لقد قدمت لهم هجمات 11 سبتمبر الغطاء السياسي لتحقيق أهدافهم المرسومة مسبقاً. فبعد 11 سبتمبر طغت على الناس صدمة عاطفية قوية. وكانوا يتطلعون إلى من يحميهم؛ لم يكترثوا بالتفاصيل. وجاءهم بوش يقول:" سأجعل هذه المهمة مهمة واحدة، إنني متوجه إلى أفغانستان. وكان هناك على الأقل بعض الصلة بين أفغانستان وما حدث في 11 سبتمبر. فقد كان فيها معسكرات تدريب للقاعدة. وعلى الرغم من أن احتلال أفغانستان لم يكن هو الرد الأحنك. إلا أن فيه بعض المنطق. ولكنهم بعد ذلك توجهوا صوب العراق. وهاهم الآن يتحدثون عن إيران وكوريا الشمالية، وانتقلت قضية القاعدة إلى أسفل سلم أولويات واهتمامات الحكومة. وعلى الرغم من أنهم استطاعوا القبض على بعض عناصر القاعدة وأربكوا عملياتها في أفغانستان، إلا أن القاعدة شبكة تعمل في 60 دولة. وتعمل خلاياها باستقلالية تامة. فهي تقوم بغسل الأموال، ويديرون أعمالاً غير

مشروعة. ولا يحتاجون إلى أي دعم حكومي. إن الأشخاص الذين ضربوا مركز التجارة العالمي كانوا خلية منضبطة مؤلفة من عشرين شخصاً أمضوا سنتين في البلاد وأنفقوا ما بين 200 إلى 500 ألف دولار.

والمشكلة التي يفرزها مثل هذا النوع من التهديد هو أن هؤلاء الأشخاص إذا كانوا مصممين على فعل شيء ما فإن من الصعب إيقافهم. والإطاحة بحكومات العراق وأفغانستان أو إيران أو كوريا الشمالية ليس له تأثير على مجرى عملياتهم. وبالعكس، قد يؤدي ذلك إلى تسهيل مهمتهم لأن الولايات المتحدة بأفعالها تلك تعكس الصورة القبيحة لأمريكا. فهي تلوح بسيفها حول العالم، وتتجبر على الدول الأخرى الأمر الذي يقدم وسيلة فعالة لابن لادن ورفاقه في تجنيد المتطوعين. وبإمكانهم الآن أن يقولوا: " أنظروا! هذه هي أمريكا، إنها تفضل البطش واستخدام القوة. إنها تدوس كرامتنا. لذلك فإن الطريقة الوحيدة للتعامل معها هو استخدام القوة- علينا أن نحارب النار بالنار".

ولو اتبعنا إستراتيجية حصيفة، وهي ما اقترحه بعض مستشاري بوش عقب 11 سبتمبر، فإن ممارساتنا ستكون أصعب في إقناع الجمهور بها لأنها لا توفر فرص البهرجة الإعلامية، ولن يكون هناك مفرقعات، ولا الصور الكبيرة، ولا وجون وين(*). إلا أن من أنجع الوسائل في مقاومة هذا النوع من الإرهاب هي الوسائل الهادئة الكيسة والمتزنة. إنها المفاوضات والاتفاقيات بين الدول على تبادل المعلومات، إنها التعاون الجماعي في مجالات الاستخبارات وفرض القانون. ولكن هذه الإستراتيجيات لا تتولد عنها الانطباعات والصور التي يحتاجها بوش لإعادة انتخابه. والصورة الأكثر شناعة بالنسبة لي كشخص يسكن في نيويورك هو عقد المؤتمر العام للحزب الجمهوري في نيويورك. وسوف يقوم بوش بزيارة

(*) إشارة إلى الممثل الأمريكي المشهور بطل أفلام الكاوبوي.

لموقع برج التجارة العالمي، ويضع حجر الأساس للنصب التذكاري هناك. وسوف يقوم بتسييس واستغلال تلك البقعة المقدسة لتحقيق مكاسب سياسية. تلك البقعة التي تضم رفات الضحايا. وسوف يستغل المشاعر المرتبطة بذلك الحدث لدفع إعادة انتخابه. وسيعمل على دمج تلك الصورة في حملته الانتخابية. لقد أدركت حكومة بوش أن الصور في السياسات الأمريكية لها أكبر الأثر. فقد ينسى الناس كل التفاصيل، إلا أن صورته وهو يهبط بطائرته على متن حاملة طائرات ستبقى عالقة في أذهان الناس. وهذا هو ما يأملون بتحقيقه في مدينة نيويورك.

جيرمي إيرب: هل تعتقد أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة منذ 11 سبتمبر نجحت في جعل الأمريكان أكثر أمناً؟

لا تزال بلدية نيويورك تفتقر إلى وجود خبراء في تحديد الأسلحة الكيماوية. ولا توجد كاشفات إشعاعات في الأنفاق والجسور، لذلك إذا أراد شخص إحضار مواد مشعة، فإن من العسير اكتشافهم. وحتى الآن لم تقم الأجهزة الفدرالية المختلفة بتنسيق قائمة الأشخاص المفترض مراقبتهم وتعقبهم لمعرفة من ينبغي منعه من دخول البلاد. وانعدام هذا التنسيق سمح لبعض الخاطفين بدخول الولايات المتحدة. لذلك فإن هذه الحكومة لا تهتم بالإجراءات التي تتطلب تفاصيل دقيقة ولا توفر فرصة للبهرجة الإعلامية والتقاط الصور الصالحة لأخبار المساء.

وفي الحقيقة، هناك شخص اسمه راند بيرز وهو من كبار المسئولين في مجلس الأمن القومي قدم استقالته قائلاً إنكم لا تخوضون الحرب الصحيحة. إنكم في أفغانستان وفي العراق، ولا تعملون على تأمين الأراضي الأمريكية؛ إنكم لا تقومون بعمل اللازم. وهذه المغامرة في العراق هي أمر ثانوي يشتت الانتباه والتركيز عن فعل ما ينبغي فعله لحماية المواطنين. ولم يكتف هذا المسئول

بالاستقالة، بل عاد بعد شهرين ليصبح معاوناً رفيع المستوى في حملة جون كيري للرئاسة(*). وهو أمر غير مسبوق، ولم يحدث من قبل بالنسبة لشخص أمضى حياته المهنية في الحكومة الأمريكية في حقل العلاقات الخارجية. لم يكتف بالاستقالة العلنية ولكنه قال "سأبحث عن أفضل شخص يخرجنا من هذه الورطة، وسأعدكم على تحقيق ذلك."

إن الأشخاص الذين يعملون حقاً ما يجب فعله لتأمين البلاد مستاءون جداً من الأسلوب الذي يتبعه بوش في التعامل مع المسائل الأمنية بهذه البهرجة الإعلامية، ومواقف التهديد والوعيد التي يتخذها. كما أن عدداً كبيراً من دوائر الاستخبارات غير راضية عن قيام الحكومة بتزوير التقارير الإستخبارية. كما أن الجيش في حالة صراع مع رمسفيلد و ولفوويتس بسبب تقديراتهما الخاطئة حول الإجراءات اللازمة لتأمين العراق بعد التخلص من نظام صدام حسين. وقد اتضح الآن أن الجيش كان محقاً في رأيه. فقد كان الجنرال شينسكي محقاً عندما قال بأن الأمر يحتاج قرابة مائتي ألف جندي. ولكنهم سخروا منه في ذلك الوقت، وحاولوا التعجيل بإحالته إلى التقاعد. وقالوا بأن تقديراته بعيدة جداً عن الصواب. ولكن من الذي كان يقول ذلك؟ إنه بول ولفوويتس. و ولفوويتس هذا لم يطلق في حياته رصاصة واحدة. لم يسبق له أن قاد سرية من الجنود. أما إريك شينسكي فقد كان يتولى قيادة الجنود الأمريكان في البلقان. وهو يعلم حقيقة ما تتطلبه مهمات حفظ السلام. أما هؤلاء الذين يدعون بأنهم يعملون على تأمين حمايتنا فإنهم لا يأخذون بنصيحة أهل الخبرة وأصحاب الاختصاص في الاستخبارات والجيش، بل عملوا على تحييدهم وإخماد أصواتهم. ومعظم المحافظين الجدد هم من صقور الدجاج الذين اختلقوا الأعذار

(*) من باب توضيح الحقيقة، لم يكن المرشح الديمقراطي جون كيري معارضاً للحرب في العراق بل كان يدعو إلى زيادة أعداد القوات الأمريكية هناك.

للتهرب من التجنيد الإجباري حين صدر النداء لخدمة الوطن. ولكنهم تملصوا من الخدمة بسبب الدراسة، أو توسط آبائهم لهم، أو استصدار أعذار طبية الخ. وهم الآن يرسلون أبناء الوطن من الكادحين إلى العراق التي تشهد موسماً مفتوحاً لاستهداف الجنود الأمريكان. فكل مهووس له ثأر مع الأمريكان يتوجه اليوم إلى العراق ليقوم بتفجير انتحاري أو لقتل جندي أمريكي.

لقد ورطونا في تلك المناطق، وهم بذلك يضاعفون من التهديدات الموجهة إلى جنودنا وإلى بلدنا. وعندما يقوم أشخاص مثل ولفوويتس وبيرل ورمسفيلد بتزوير التقارير الإستخبارية والتلاعب بالإجراءات التي يفترض فيها أن تقدم معلومات صحيحة ودقيقة إلى الرئيس حول ما يهدد الأمن القومي، فإن هذه الأفعال مجرمة بموجب القانون. إن هؤلاء الأشخاص يجب أن يقدموا إلى العدالة. ويجب أن يجرى تحقيق حول ما إذا كان يسمح لهؤلاء البقاء في وظائفهم الحكومية أم لا. لأن إرسال الجنود إلى الحرب استناداً إلى معلومات استخبارية ملفقة ومزورة، وتفاصيل مضخمة، يعد عملاً مجرماً بالقانون. وفي المملكة المتحدة، حيث يوجد لديهم نظام لا يمكن لرئيس الوزراء الاختباء في ظله، فإن مستقبله السياسي في خطر بسبب هذه الأمور بالضبط. أما هنا في أمريكا. فإن جورج بوش يهبط بالطائرة على متن حاملة الطائرات ويرعى احتفالاً في موقع برجي مركز التجارة العالمي، وكل ذلك مغتفر.

جيرمي إيرب: كل انتخابات رئاسية تجري يقال عنها بأنها "تاريخية" لأنها تحمل أهمية غير مسبوقة. وفي هذا الوقت نسمع هذه المقولة من جديد، ولكن هذه العبارة تبدو أكثر صدقاً هذه المرة وأكثر تناغماً مع التاريخ، ما هو المعول عليه في انتخابات عام 2004؟

القضية الأساسية هي: هل سيقف الناخب الأمريكي مكتوف اليدين تجاه ما يحدث؟ هل سنتعامل مع ديمقراطيتنا كما لو كانت مباراة رياضية مثل السوبر

بول(*)؟ أم أننا سنراجع أنفسنا قليلاً هذه المرة؟ هل سنمحص ادعاءاتهم؟ هل سننظر إلى تفاصيل ما قامت به الحكومة الأمريكية؟ إنني أعتقد أنها ابتعدت عن جادة الطريق ليس فقط عما كان سيفعله الديمقراطيون، بل ابتعدت عن الخط التقليدي للحزب الجمهوري. إنهم ينقضون معاهدات نزع التسلح، كمعاهدة الحد من الصواريخ العابرة للقارات التي تم التفاوض بشأنها في عهد أكثر الجمهوريين تطرفاً ريتشارد نيكسون. إذن نحن لسنا أمام سيطرة الحزب الجمهوري على الحكومة، بل أمام سيطرة فصيل محدود من الحزب الجمهوري وهو جناح المحافظين الجدد. وهذا الجناح يؤمن بالانفرادية في العلاقات الدولية. ولا يؤمنون بحكم القانون، ولا يعتقدون بواجب الصدق وقول الحقيقة أمام الشعب.

وحسبك أن تنظر إلى عدد الأشخاص في هذه الحكومة الذين كانوا متورطين في فضيحة إيران كونترا: جون بويندكستر في البنتاغون والذي عزل مؤخراً بسبب فضيحة احتيال تتعلق بالأسواق المستقبلية للإرهاب تديرها وزارة الدفاع. أما الشخص المتخصص بأمريكا اللاتينية، أتو رايخ فقد كان على رأس عمله إلى أن رفض الكونغرس إقرار تعينه. إلا أنهم أبقوه حولهم. وكان هذا الرجل يشكل ذراع التضليل الإعلامي في قضية إيران كونترا. إليت إبرامز يعمل الآن مبعوثاً للسلام في الشرق الأوسط. ووضع شخص كهذا في هذا المنصب هو منتهى البغي. فقد كان إبرامز متورطاً في صفقة الأسلحة لإيران مقابل إطلاق سراح الرهائن، وقدم الدعم والعون لنظام هو بحسب ادعائهم يرعى الإرهاب. وعلى الرغم من ذلك كله، يبدي هؤلاء قلقهم من أن بعض أساتذة الجامعات يتخذون مواقف غير وطنية. هؤلاء الأشخاص هم الذين يفتقرون إلى الوطنية. هؤلاء هم الذين يهدمون ديمقراطيتنا. وهم لا يعملون في جامعة ما، إنهم يمسكون بدفة الحكم ويسيرون البلاد.

(*) المباراة النهائية لبطولة كرة القدم الأمريكية. وهي أهم حدث رياضي على المستوى الوطني في الولايات المتحدة، ويتابعها الملايين من الناس.

وإذا أدركت عامة الشعب مدى خطورة هذا الوضع وأن المسألة ليست أن "الجميع يفعل ذلك" وأن هذه الحكومة ليست كباقي الحكومات الأمريكية المتعاقبة، لو أدركوا ذلك لثاروا غضباً ولأخرجوهم من السلطة يجرون أذيال الهزيمة في الانتخابات بفارق شاسع بحيث لا يمكنهم التفكير بسرقة الأصوات للبقاء في الحكم. ولكنني أخشى ألا يحدث ذلك، وأخشى أن تكون هذه الانتخابات متقاربة في النتائج. وأن يكون لهذه الصور وقع كبير. أنظر إلى الانتخابات السابقة. وعلى سبيل المثال ما حدث مع مايكل دوكاكس عندما ركب الدبابة- بمظهر يشبه شخصية سنوبي في أفلام الكرتون- وتذكر الإعلان الساخر الذي وضعه ويلي هورتن ضده مستخدماً فيه تلك اللقطة، إنك لا تفكر بالمحتوى والجوهر لأن الانتخابات لا تتحدد بناءً على الجوهر. إن بلدنا يواجه مخاطر حقيقية، وهؤلاء الأشخاص لا يتتبعون الأخطار الحقيقية. وهم ماضون في تنفيذ أجندة موضوعة من قبل تحت قناع محاربة الإرهاب. وهي أجندة ستؤدي إلى إفلاس الولايات المتحدة، وتضع الجيش الأمريكي في مواطن الخطر، وهذا من شأنه أن يضاعف التهديد الإرهابي علينا مع مرور الوقت بدلا من القضاء عليه.

جيرمي إيرب: ما هو سبب احتلال العراق من وجهة نظرك؟

يتساءل كثير من الناس، "إذا لم يكن احتلال العراق بهدف محاربة الإرهاب، فما هو السبب الحقيقي لتلك الحملة العسكرية؟ بعض الناس قالوا بأنه لإظهار الشوكة والنفوذ، بينما رأى بعضهم أن النفط هو السبب. وهذا غير صحيح. إن السبب يتعلق بالقوة وإظهار الشوكة. إن هذا الاحتلال يوفر لهم القوة من طرق عدة. فهم الآن يسيطرون على نفط العراق. وهذا الأمر لا يعود عليهم بالفوائد المالية وحسب، بل والأكثر أهمية، سيمكنهم من ممارسة النفوذ على المستوى العالمي. (...) ومتى ما استحكمت سيطرتهم على منطقة الشرق الأوسط بالمعنى

الجيوبوليتيكي فإن ذلك سيوفر لهم مزيداً من النفوذ على حلفائنا في أوروبا وآسيا. وهو نوع من الالتفاف على حقيقة تردي سياساتهم الاقتصادية في البلاد.

فمن جهة، نجدهم يستخدمون العراق أداة لصنع النفوذ وتمويل إعادة انتخابهم. ومنح العقود المجزية لأصدقائهم، وإنقاذ الاقتصادي الأمريكي من حالة التردي التي سببتها سياساتهم الاقتصادية العفنة. وهم يريدون تغيير خارطة العالم، وإجبار الحكومات على السير بالطريقة التي يرونها. ومن أسباب استبعادهم الأمم المتحدة من مشروعهم في العراق هو أن ولفوويتس وغيره في هذه الحكومة صرحوا بأنهم لا يريدون الأمم المتحدة في العراق ولا الفرنسيين ولا الألمان، وذلك خشية أن يتأثر العراق بالسياسات والتوجهات الألمانية في مجال العمل، فتنشأ فيه النقابات العمالية وغيرها، وهي توجهات يحاربونها في الولايات المتحدة. إنهم يتعاملون مع العراق بوصفه مختبراً صغيراً لتجربة أفكارهم حول الخصخصة، والسوق الحرة، ومفهومهم الخاص للديمقراطية، وهو مفهوم يشبه إلى حد كبير النموذج الذي مارسوه في فلوريدا. لا يهمهم إحصاء الأصوات، هم يريدون أشخاصاً في الحكم تحت سيطرتهم. ولا يريدون أن يرأس الحكومة في العراق ويسير شؤون ذلك البلد أي شخص يؤمن بالديمقراطية الحقيقية.

والشيء الذي يحفزهم هو سلطة استخدام القوة العسكرية ومصادر الطاقة لإعادة تشكيل العالم وفق الهيئة التي تروق لهم. وإذا نظرت إلى صور رمسفيلد وولفوويتس وهما يعاينان خارطة العالم في غرفة العمليات، ويتمازحان أثناء ذلك، فإنك تستطيع أن تستنتج أن هذا هو ما يعيشون لأجله. ليس المال فقط: بل هي السلطة، ولا يمكنك أن تتمتع بالسلطة إلا إذا سيطرت على الآلة العسكرية. ولهذا السبب انتقلوا من وظائفهم ذات الرواتب المجزية في القطاع الخاص إلى

الحكومة. إنهم يعتقدون أن هذه هي فرصتهم الأخيرة لوضع بصمتهم على العالم. وهم مصممون على فعل ذلك ما لم نعمل على إيقافهم.

مانشستر، نيو هامبشير

29 **أغسطس**، 2003

obeikandl.com